المطلب التاسع
حكمة التَّنبيه بـ (ها)، ونداء ما فيه (أل)

أوَّلًا: حكمة التَّنبيه بـ (ها):

إنَّ ما نادى الله عَزَّوَجَلَّ به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام، وخطوب جسام يجب عليهم أن يتيقَّظوا لها....

قال الزَّمخشريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكلمة التَّنبيه المقحمة بين الصِّفة وموصوفها لفائدتين:

١ – معاضدة حرف النِّداء ومكاتفته بتأكيد معناه..

٢ – وقوعها عوضًا ممَّا يستحقُّه، أي: من الإضافة.."[(١)].

وتدخل على نعت[(٢)] (أَي) في النِّداء، نحو: (يا أَيُّهَا الرَّجلُ)[(٣)]، وهي في هذا واجبة[(٤)] للتَّنبيه على أنَّه المقصود بالنِّداء. قيل: وللتَّعويض عمَّا تضاف إليه (أي).

---

(١) الكشاف (١/٢٢٥–٢٢٦)، وانظر: تفسير الرَّازي (٢/٣٢١)، تفسير النيسابوري (١/١٨٠)، البرهان في علوم القرآن (٢/٤١٥)، مغني اللَّبيب (ص:٤٥٦).

(٢) وقيل: هو عطف بيان لعدم الاشتقاق كما في الرَّضي على الكافية (١/١٤٣).

(٣) وعلى ذلك يكون (أي) منادى نكرة مقصودة، و(ها) للتَّنبيه، و(الرَّجل) نعت لـ: (أي). انظر: المقتضب، للمبرّد (٤/٢١٦–٢١٧).

(٤) أي: واجبة الزيادة. وفي (الجنى الدَّاني): "وحرف التَّنبيه لازم في هذا الموضع؛ لأنَّه كالصِّلة لـ (أي)، بسبب ما فاتها من الإضافة؛ ولذلك يقول المعربون فيه: ها صلة وتنبيه". الجنى الدَّاني (ص:٣٤٧).

ويجوز في هذه في لغة (بني أسد)[1] أن تحذف ألفها، وأن تضم هاؤها إتباعًا[2].

وعليه قراءة ابن عامر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَيُّـهُ الْمُؤْمِنُـونَ﴾[3]، ﴿أَيُّـهُ الثَّقَـلانِ﴾[4]، ﴿أَيُّـهُ السَّـاحِرُ﴾[5] -بضمِّ الهاء في الوصل-[6].

وفي (تفسير سورة النِّساء) بيان لحكم ثلاث تُسْتَفاد من التَّنبيه بـ: (ها):

"**أولاها**: الإرشادُ إلى أهميَّة الأمر المنبَّه إليه ضرورة أنَّه لا يحسن التَّنبيه من العاقل فضلًا عن العليم عَزَّوَجَلَّ إلَّا إلى ما هو مهمٌّ يخشى أن تقع الغفلةُ عن أهميَّته لولا التَّنبيه إليه.

---

(١) قبيلة (بني أسد) من أشهر القبائل العربيَّة. انظر: بطون (بني أسد) في جمهرة أنساب العرب (١/١٩٠)، (٢/٤٦٦)، وانظر: المفصَّل في تاريخ العرب (٨/١٢٥).

(٢) أي: إتباعًا لضمة الياء في (أي).

(٣) وهي آيةٌ طويلةٌ ختمت بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور:٣١].

(٤) وتمام الآية: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ﴾ [الرَّحمن:٣١].

(٥) وتمام الآية: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٩].

(٦) انظر: الدُّر المصون (٥/٢١٧)، البحر المحيط (٦/٤١٤). وفي (الكشاف): "وقرئ: ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ -بضمِّ بضمِّ الهاء- ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف، فلمَّا سقطت الألف لالتقاء السَّاكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها". الكشاف (٣/٩٣). وفي (المحرَّر الوجيز): "وقرأ ابن عامر: ﴿أَيُّهُ﴾ -بضمِّ الهاء- ووجهه أن تجعل الهاء كأنها من نفس الكلمة، فيكون إعراب المنادى فيها. وضعَّف أبو علي [الفارسي] ذلك جدًّا. وبعضهم يقف (أيُّه). وبعضهم يقف (أيُّها) بالألف. وقوَّى أبو علي الوقفَ بالألف؛ لأنَّ علَّة حذفها في الوصل إنما هي سكونها وسكون اللَّام، فإذا كان الوقف ذهبت العلَّة فرجعت الألف كما ترجع الياء إذا وقفت على ﴿مُحِلِّي﴾ من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة:١]". المحرَّر الوجيز (٤/١٨٠)، وانظر: تفسير القرطبي (١٢/٢٣٩)، البحر المحيط (٦/٤١٤)، غرائب القرآن (٥/١٧٦)، روح المعاني (١٨/١٤٧)، إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٠)، التَّيسير في القراءات السَّبع (ص:١٠٨)، السَّبعة في القراءات، لابن مجاهد (ص:٤٥٥)، تحبير التَّيسير (ص:٤٨١)، حجَّة القراءات، لابن زنجلة (ص:٤٩٧)، الفريد (٣/٥٩٥-٥٩٦)، مغني اللَّبيب (ص:٤٥٦)، وانظر: همع الهوامع (٢/٥٢). وضعَّفها أبو جعفر النَّحاس، وقال: هي لغةٌ شاذَّةٌ لا وجه لها؛ لأنَّ (ها) للتَّنبيه. انظر: إعراب القرآن، للنَّحاس (٣/١٣٤).

ثانيتها: تجليةُ رحمة الله عَزَّوَجَلَّ الواسعة، ونعمته السَّابغة على عباده بتنبيههم إلى ما يهمُّهم، وبحيث لم يكلهم إلى أنفسهم في اكتشاف ما فيه من الأهميَّة، ولا وكلهم إلى الغفلة التي يمكن أن تعتريهم فتحول دون تنبههم إليه.

ثالثتها: قطعُ أعذارِ الخلق، وإقامة الحجَّة عليهم بهذا التَّنبيه، ليهلكَ من هَلَكَ عن بَيِّنةٍ، ويحيى من حيَّ عن بَيِّنةٍ. فإنَّه عَزَّوَجَلَّ بعد إذ نبَّههم إلى ما يهمُّهم لا يبقى لهم عذر في ادِّعاء أنهم لم يعرفوا أهميَّته، وأنهم لو نبِّهوا إليها لعرفوها"[1].

"و(ها) التَّنبيهية زائدة لازمة للتَّأكيد والتَّعويض عمَّا تستحق من المضاف إليه أو ما في حكمه من التَّنوين كما في ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ [الإسراء:١١٠]، وإن لم يستعمل هنا مضافًا أصلًا. وكثر النِّداء في الكتاب المجيد على هذه الطَّريقة لما فيها من التَّأكيد الذي كثيرًا ما يقتضيه المقام بتكرُّر الذِّكر والإيضاح بعد الإبهام، والتَّأكيد بحرف التَّنبيه، واجتماع التَّعريفين"[2].

وممَّا سبق يتبيَّن أنَّ (ها) التَّنبيهيَّة سمِّيت بذلك؛ لأنَّ المراد منها: إمَّا تنبيه الغافل إلى ما بعدها، وتوجيهه إلى ما سيذكر. وإمَّا لإشعار غير الغافل إلى أهميَّة ما بعدها، وجلال شأنه، ليتفرَّغ له، ويقبل عليه.

ثانيًا: نداء ما فيه (أل):

إذا أريْدَ نداءُ ما فيه (أَلْ)، يُؤتى قبلَهُ بكلمةِ (أيُّها) للمذكَّر، و(أَيَّتُها) للمؤنَّث. وتَبقيانِ معَ التَّثنيةِ والجمع بلفظ واحدٍ، مراعىً فيهما التَّذكيرُ والتَّأنيث، أو يؤتى باسم الإشارة.

فالأوَّل: كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧].

---

(١) تفسير سور النِّساء، أ.د إبراهيم خليفة (ص:١١١).

(٢) روح المعاني (١/١٨٢).

والأمثلة كثيرة وواضحة.

وكلمة: (أَيُّهَا) لا تستعمل إلا في النداء، و(أيتها) تستعمل للمؤنث -كما تقدم-، (أي) يجوز تأنيثها إذا وصفت بمؤنث كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ها: وها بعده حرف تنبيه، ويلزم وصفه بمعرَّف بأل، أو بموصول، أو اسم إشارة -كما ذكر النحاة-. ويلزم رفع صفتها، كما في النداء؛ لأنه منقول منه إلى الاختصاص[1].

والثَّاني: نحو: (يا هذا الرَّجل)، و(يا هذهِ المرأةُ) إلا إذا كان المنادى (لفظَ الجلالة)[2]. لكن تبقى (أَلْ) وتُقطَعُ همزتُها وُجوبًا، نحو: (يا أللهُ).

والأكثر معَهُ حذفُ حرفِ النِّداءِ والتَّعويضُ منه بميمٍ مُشدَّدةٍ مفتوحةٍ، للدِّلالةِ على التَّعظيم نحو: (اللهمَّ).

وقد وردت (خمسة) مواضع:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦].

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة:١١٤].

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال:٣٢].

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس:١٠].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر:٤٦][3].

---

(١) انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (٢٧١/١)، البحر المحيط (١٥١/١).

(٢) وذلك "أنَّ الاسم لا ينادى وفيه الألف واللَّام؛ لأنَّك إذا ناديته فقد صار معرفة بالإشارة بمنزلة هذا، وذاك، ولا يدخل تعريف على تعريف، فمن ثمَّ لا تقول: (يا الرَّجل تعال). وأمَّا قولهم: (يا أللهُ اغفر) فإنما دُعى وفيه الألف واللَّام؛ لأنهما كأحد حروفه. ألا ترى أنهما غير بائنتين منه. وليستا فيه بمنزلتهما في (الرَّجل)؛ لأنَّك في (الرَّجل) تثبتهما وتحذفهما، وهما في (اسم الله) ثابتتان، وهو اسم علم". المقتضب، للمبرد (٢٣٩/٤-٢٤٢).

(٣) انظر: تفسير أبي السُّعود (٢١/٢)، وانظر: الدُّر المصون (٥٣/٢)، المحرَّر الوجيز (٤١٧/١)، معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (٣٩٤/١)، التِّبيان (١٣٠/١)، وانظر: تفسير النَّيسابوري (١٣٦/٢)، وانظر: الكتاب، بتحقيق: عبد السَّلام هارون، لسيبويه (١٩٦/٢).

ولا يجوز أن تُوصَفَ (اللَّهـمَّ)، على اللَّفظ، ولا على المحلِّ، على الصَّحيح؛ لأنَّهُ لم يُسمَع. وأمَّا قولهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، فهو على أنَّه نداءٌ آخرُ، (قُل اللَّهـمَّ يا فاطرَ السمواتِ). وإذا ناديتَ عَلَمًا مُقترِنًا بأَلْ وَضعًا حذفتَها وُجوبًا فتقولُ في نداء العبَّاسِ والفضلِ والسَّموأَلِ: يا عبَّاسُ. يا فضلُ. يا سَمَوأَلُ[1].

"و(اللَّهـمَّ) في كـلام العـرب خـاصٌ بنـداء الله عَزَّوَجَلَّ في الـدُّعاء، ومعنـاه: (يـا الله). ولما كَثُرَ حذف حرف النِّداء معه قال النُّحاة: إنَّ الميمَ عوضٌ من حرف النِّداء يريدون أنَّ لحاق الميم باسم الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الكلمة لما لم يقع إلا عند إرادة الدُّعاء صار غنيًّا عن جلب حرف النِّداء اختصارًا، وليس المراد أنَّ الميم تفيد النِّداء. والظَّاهر أنَّ الميم علامة تنوين في اللُّغة المنقول منها كلمة: (اللَّهـم) من عبرانيَّة أو قحطانيَّة، وأنَّ أصلها: (لاَ هُم) مرداف (إله).

ويدلُّ على هذا أنَّ العرب نطقوا به هكذا في غير النِّداء كقول الشَّاعر:

(كـدعوةٍ من أبي ريـاح***يَسْـمَعُها اللهُـمَّ الكبير)[2].

وأنّهم نطقوا به كذلك مع النِّداء، كقولِ الشاعر:

---

(١) وتستعمل (اللهمَّ) على ثلاثة أنحاء: الأوَّل: أن تكون للنِّداء المحض، نحو: (اللهمَّ اغفر لي). الثَّاني: أن يذكرها المجيب تمكينًا للجواب في نفس السَّامع، كأن يقال لك: أخالد فعل هذا؟، فتقول: اللهمَّ نعم. الثَّالث: أن تستعمل للدِّلالة على النُّدرة وقلة وقوع المذكور معها، كقولك للبخيل: إنَّ الأمَّة تعظِّمك، اللهمَّ إن بذلت شطرًا من مالك في سبيلها". انظر: الأصول في النَّحو (٣٣٨/١).

(٢) والبيت ينسب للأعشى، ويروى: (كَحْلَفة) بدل: (كدعوة). انظر: ديوانه (ص:١٩٣)، والطَّبري (٢٢١/٣)، البحر المحيط (٤٣٣/٢)، (٤٣٦/٢)، القرطبي (٥٣/٤)، خزانة الأدب (٢٣٦/٢). وقد "أنشده الفرَّاء ولم يبيِّن قائله. معاني القرآن، للفرَّاء (٢٠٣/١). وقيل: الأعشى -كما سبق-..والبيت من [البسيط]. أمَّا اللُّغة فإنَّ قوله: (كَحْلَفةٍ) كيمين، (أبي رياح) كناية عن رجل من (بني ضبيعة)، واسمه: (حصن بن عمرو). وكان أبو رياح قد قتل رجلًا من (بني سعد بن ثعلبة)، فسألوه أن يحلف أو يعطي الدِّية، فحلف ثمَّ قتل بعد حلفته، فضربه العرب مثلًا لما لا يغني من الحلف. والشَّاهد فيه: (لاهم) حيث استعمل (اللهمَّ) في غير النِّداء..انظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (١٠٧٠/٢).

(إنِّي إذا ما حَدَثٌ ألَمَّا***أقُول يا اللهُمَّ يا اللهُمَّا)[1].

وأنَّهم يقولون: (يا الله) كثيرًا. وقال جمهورُ النُّحاة: إنَّ الميم عوضٌ عن حرف النِّداء المحذوف، وأنَّه تعويضٌ غير قياسيٍّ، وأنَّ ما وقع على خلاف ذلك شذوذ. وزعم الفرَّاء[2] أنَّ (اللَّهمَّ) مختزلٌ من (اسم الجلالة)، وجملة أصلها: (يا الله أمّ)[3] أي: أقبل علينا بخير[4]، وكلُّ ذلك تكلُّف لا دليل عليه"[5].

---

(١) البيت قيل: إنَّه لأبي خرَّاشٍ الهذليِّ، وقيل: لأميَّة بن أبي الصَّلت، وهو من [الرَّجز]. اللُّغة: (حَدَثٌ) – بفتحتين– وهو الأمر الذي يحدث من مكاره الدُّنيا، (ألما) نزل. والمعنى: يريد أنَّه إذا نزلت به حادثة، أو أصابه مكروه لجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كشف ما ينزل به. والشَّاهد فيه: (يا اللهمَّ يا اللهمَّ) حيث جمع بين حرف النِّداء والميم المشدَّدة التي يؤتى بها للتَّعويض عن حرف النِّداء، فجمع بين العوض والمعوَّض عنه. انظر: خزانة الأدب (٢/٢٥٨–٢٥٩)، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس (١/٥٠)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (٢/١٠٦٨)، شرح الرَّضي على كافية ابن الحاجب (١/٣٨٤)، وانظر: المقتضب، للمبرد (٤/٢٤٢).

(٢) معاني القرآن، للفرَّاء (١/٢٠٣–٢٠٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/٣٩٣)، تفسير القرطبي (٤/٥٣)، تفسير الرَّازي (٨/١٨٥)، وانظر: جلاء الأفهام، لابن القيِّم (ص:١٤٣–١٤٤).

(٤) التَّقدير الذي ذكره الفرَّاء: (يا الله أُمنا بخير). قال: فكثرت في الكلام فاختلطت. [أي: امتزجت بما قبلها، وهو (لفظ الجلالة)، وفي (تفسير الطَّبري) (٣/٢٢١): "فاختلطت به"]. قال الفرَّاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرفعة التي في الهاء من همزة (أُمَّ) لما تركت [أي: الهمزة، يريد حذفها قبل انتقال حركتها إلى ما قبلها]. قال الفرَّاء: ونرى أنَّ قول العرب: (هَلُمَّ إلينا) مثلها، إنما كانت (هل) فضم إليها (أُمَّ) فتركت على نصبها..إلى آخر ما ذكره الفرَّاء في المعاني. معاني القرآن (١/٢٠٣– ٢٠٤).

(٥) التَّحرير والتَّنوير (٣/٢١٢). وينظر في ذلك: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجاج (١/٣٩٣–٣٩٤)، الدُّر المصون (٢/٥٣– ٥٥)، روح المعاني (٣/١١٣)، تفسير الرَّازي (٨/١٨٥)، القرطبي (٤/٥٣)، تفسير الماوردي (٢/٨٤)، أسرار العربيَّة (ص:٢١١–٢١٢)، أوضح المسالك (٤/٣١)، الأصول في النَّحو (١/٣٣٨)، الإنصاف (١/٣٤١–٣٤٥)، الجُمَل، للخليل (ص:١٣٧)، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس (١/٥٠)، الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة (ص:٢٩)، اللَّامات (ص:٨٨)، اللمع في العربيَّة (ص:١١٣)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك (١/١٦٠)، (٢/١٠٦٨– ١٠٩٦)، (٣/١٦٨٠)، سرُّ صناعة الإعراب (١/٤١٩)، (١/٤٣٠)، شرح ابن عقيل (٣/٢٥٦)، وانظر: المقتضب، للمبرّد (٤/٢٣٩–٢٤٠).

لا خلاف أنَّ لفظة: (اللَّهمَّ) معناها: (يا الله)؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطَّلب، فلا يقال: (اللَّهمَّ غفور رحيم)، بل يقال: (اللَّهمَّ اغفر لي وارحمني)..[1]؛ ولذلك صلة بمحور البحث.

(١) انظر ذلك مفصَّلا في (جلاء الأفهام) (ص:١٤٣– ١٤٤).